

التّحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ و النشر يقدّم

:: تفريغ الكلمة المرئية ::




دروس وعبر من حياة سادة البشر – 1

للشّيخ



عضو اللجنة الشرعية في جبهة النصرة

المدّة : 19 دقيقة

إنتاج ونشر : مؤسسة البصيرة للإنتاج الإعلامي

مؤسسة التحايا تقدم

تفريغ كلمة مرئية بعنوان:

دروس وعبر من حياة سادة البشر – 1

للشيخ :

أبو سليمان المهاجر

– حفظه الله –

عضو اللجنة الشرعية العامة في جبهة النصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما يا كريم.

اللهم اخلص النوايا ولا تجعل في هذا العمل حظًّا لغيرك يا رب العالمين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الحديث عن سير الأنبياء عظة لأولي النهى، وفي قصص العظماء عبرة للمؤمنين؛ فإن الله لم يذكر هذه القصص في القرآن الكريم لمجرد أن نقصها على أولادنا قبل وقت المنام، أو لتحول إلى أفلام ومسلسلات يخرج فيها أخبث خلق الله والفاسقون من عباده يمثلون فيها أعظم شخصيات من أجل التسلية أو ما يعرف بالدراما، ولم يؤلف علماء الإسلام المصنفات المبسوطة في التاريخ والسير من أجل مضيعة الوقت، فلم يكونوا يومًا من الأيام قصاصين في الأسواق، إنما جاءت هذه القصص في القرآن الكريم لعِبَرٍ كثيرة ودروس عظيمة يستفيد منها الجميع حتى الأنبياء بل وسيد الأنبياء والمرسلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول الله تبارك وتعالى في أواخر سورة هود بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** ﴾ [هود: 120].

وقال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [يوسف: 111].

وسنبدأ هذه السلسلة المباركة من الدروس التربوية بقصة عظيمة نستنبط من حياة صاحبها عبرًا ودروسًا يستفيد منها الصغير والكبير، الذكر والأنثى، الفرد والمجتمع، وفي كثير من موافق الحياة، موقف الداعية إلى الله، موقف المناضل، موقف القائم بالحق الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر المحتسب، موقف المجاهد الصادع بالحق في وجه الباطل، موقف الزوج، موقف الزوجة، موقف الأب، موقف النبي المرسل.

إنها قصة الصبر والتضحية، إنها قصة الثبات على الحق حتى الممات، قصة التوكل على الله مع الأخذ في الأسباب ولو كنت وحدك، قصة إفراد الله بأنواع العبادة كلها ومنها الحب، قصة من طال عمره وحسن عمله قصة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين.

رجل سماه الله إمامًا، رجل بأمة، خليل الله أبو الأنبياء أشرف أولي العزم بعد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكل كتاب أنزل بعد إبراهيم - عليه السلام - على نبي من الأنبياء فذلك النبي من سلالته، قال - جل في علاه - في سورة الحديد: ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** ﴾ [الحديد: 26].

لماذا هذه المنزلة العظيمة؟ ماذا صنع هذا الرجل، وكيف صنع؟

تعالوا بنا نتدبر كلام المولى عزوجل في قصة أبي الأنبياء بقراءةٍ لبعض ما وقع في حياته، يقول المولى تبارك وتعالى في سورة مريم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾ [مريم : 41-48].

بدأ الخليل دعوته مع أبيه لأنه أقرب الناس إليه، كما قال تبارك وتعالى مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : 214]. ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ [التحريم : 6]. ، وكان -عليه السلام- مع صغر سنه عظيم الحجة والبيان، صابرًا محتسبًا الأجر عند مولاه لا يضره الأذى الذي يتلقاه في سبيل دعوته، مراعيًا اللطف في الكلام مع أبيه وإن كان كافرًا فلم يناده إلى بـ (يا أبتي) ليشعره أنه ابنه، وأن الابن لا يريد إلا الخير لأبيه.

وأول ما عابه إبراهيم هو معبوده؛ فخطاب أباه بعقل ووضح له قبح المعصية التي يرتكبها قبل أن يوجه التهم إلى أبيه أو يجرح في شخصه، كأنه يقول لأبيه: يا أبت أنت رجل ذكي أعطاك الله عقلًا ولا يليق بك أن تكون مع عبدة الحجارة والأوثان.

وبهذه الوسيلة يقدر الداعي إلى الله - عز وجل - أن يستميل قلوب المدعوين إليه؛ فإنه يجب على الداعية إلى الله - عز وجل - أن يضع نصب عينيه قول الله - تبارك وتعالى - في مطلع سورة إبراهيم: ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم: 1].

وقول الله - عز وجل -: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران: 159].

لا تجعل كونك مجاهدًا في سبيل الله ينسيك أدبك وخلقك في الدعوة إلى الله، فليس الداعية الذي يسرد المعلومات على الناس سردًا ثم بعد ذلك يتوقع منهم أن يتقبلوا هذه المعلومات لمجرد أنه هو الذي قالها، ثم إن لبعض الناس نظرةٌ سوداء عن الجهاد والمجاهدين، ينظر إليك بعض الناس وكأنك أتيت من كوكب آخر بدين جديد، فلا تكن عونًا للإعلام الكاذب على إثبات هذه الصورة في أذهان الناس عامة، وفي أذهان المسلمين خاصة وليكن لسان حالك بين المسلمين في الشام هو: فديناكم بأرواحنا يا أهل الشام.

يمشي بعض المجاهدين في الأسواق عابثًا مسلحًا كأنه مقتحم لمبنى مخابرات جوية، وإذا سلم على أحد من أهل البلد سلم عليه بما لا يعرفه هذا الشخص كرفع إصبع السبابة على سبيل المثال، وكأنها سنة.

وتذكر أيها المجاهد، أيها الموحد.. أنك حملت هذا السلاح لحماية من تمشي بينهم، وتذكر أيها الأخ المجاهد أنه لابد أن يكون أكبر همٍّ للداعية هو المدح وليس مجرد إقامة الحجة على المخالفين كما يفعل كثير من الإخوة - هدانا الله وإياهم -، لا يهمه أن يهتدي الناس أو لا يهتدوا.

وعودة إلى قصة سيدنا إبراهيم، استمر إبراهيم في دعوته مع أبيه برفق ولين لم يصف أباه بالجهل المطلق، ولم يصف نفسه بالعلم المطلق، قال: ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ﴾ [مريم: 43] .

هذا في دعوة أهل الكفر إلى التوحيد، فما بالك بدعوة أهل الإسلام إلى التمسك بدينهم، يجب أن يكون أسلوبنا ألين وصبرنا معهم أعظم خاصة وقد عاش هؤلاء الإخوة في قرون من الاستبداد تحت حكم طاغوتي ظالم كافر فاجر، فرفقًا بأهلنا في الشام.

ويُعَلِمُ إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - دعاة العالم أن لا يتعالموا على من يعلمونهم الدين، وأن يتذكروا جهلهم الذي كانوا فيه قبل أن يَمُنَّ الله عليهم بالعلم،﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ﴾ [النساء: 94] .

ثم استخدم إبراهيم - عليه السلام - أسلوبًا آخر وهو أسلوبٌ كذلك مهم وممدوح ألا وهو أسلوب الترهيب.

مع العلم أنه لا ينبغي أن يتغلب هذا الأسلوب - أسلوب الترهيب - على أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله أبدًا، بل كل يستخدم حسب الحاجة، قال تبارك وتعالى على لسان إبراهيم - عليه السلام -: ،﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ [مريم: 45] .

والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم عند بعض أهل العلم ذكره الطبري والفراء وغيرهما، وهو محمول على ظاهره وهذا يصح لو كان إبراهيم - عليه السلام - يعلم أن أباه سيموت على الكفر كما الخشية، بمعنى العلم في قوله تبارك وتعالى:

،﴿ فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾ [الكهف: 80] .

ولكن هذا الأمر لم يثبت أن إبراهيم كان يعلم أن أباه سيموت على الكفر، فكان يجوز لأبيه أن يؤمن فيكون من أهل الجنة، وكان لأبيه أن يكفر ويموت على هذا الكفر فيكون من أهل العقاب، ولو كان كذلك كان معنى الخوف هنا أن غلبت الظن لا القطع.

وهنا لفتة جميلة في نظم الآية: بدأ إبراهيم عليه السلام كلامه مع أبيه بـ : ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ هو دليل على شدة الحب وحرصه على أن لا يكون من الكافرين، ولا يكون من أهل النار، وختم كلامه مع أبيه بـ ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ ﴾ ، وهذا دليل أيضًا على شدة الحب وتعلقه بمصالح أبيه، ويجب أن يكون ذلك هو همك أيضًا أيها الداعي إلى الله. ومع صبره واحتسابه وحرصه على أبيه ومع حسن دعوته ومجادلته له لم يرد الله عز وجل لأبيه الإيمان، ولم ييسر له طريق الحق.

قال تبارك وتعالى: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص: 56] .

، قال تبارك وتعالى على لسان أبي إبراهيم: ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ [مريم: 46] .

﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ ﴾ أي: بذكرهم بسوء

﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ وهنا نستفيد من إبراهيم أنه كان يستخدم أسلوب التسفيه للآلهة ليبين جرم الشرك، وهذا هو أمر ممدوح قال: ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بمعنى الكلام القبيح

والشتم كما ورد عن السدي وغيره.

قال ﴿ لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ رفض الدعوة بل هدده وأمر بأن يفارقه طويلًا لكن صبر هذا الإمام العظيم لم يثنه عن طريق الحق والدعوة إلى الله عز وجل والدين القويم، ورد بلطف فيه وضوح وأدبٍ بدون تمييع لدعوته، قال:

﴿ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ [مريم: 47-48]. استغفر إبراهيم لأبيه حتى تبين له أن أباه عدو لله فتبرأ منه، قابل غضبة أبيه بكل رفقٍ ولين ولكن ليس على حساب عقيدته، فقال: ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ فترك أصنامهم وتبرأ منهم وكفر بهم وبكفرهم وشركهم وبحث عن أسلوب آخر لتحقيق هدفه في دعوته كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد يقول لماذا الحديث عن الدعوة إلى الله ونحن في جهاد وقتال؟ لابد أن نحرض المقاتلين ونقسي قلوبهم حتى لا يريدون إلا شراب الدماء، نقول: إن قائل هذا الكلام لم يفهم أنه لا دين بدون دعوة وجهاد.

يقول ابن القيم - رحمه الله - في مفتاح دار السعادة: "قوام الدين بالعلم والجهاد؛ ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه، قال تبارك وتعالى:﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا * فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾ [الفرقان: 51-52]. والآية مكية، فهذا جهادٌ لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وجهاد المنافقين أيضًا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين بل كانوا معهم بالظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تبارك وتعالى :﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم كبيرا ﴾ [التوبة: 73]. ، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن." انتهى كلام ابن القيم - رحمه الله تعالى -.[1]

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة – (191/1)، ط: دار عالم الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد

وفي لمحة سريعة نستطيع أن نلخص بعض ما يُستفاد من قصة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إلى هذا الحد:

- دعوة الأقربين مقدمة على دعوة من دونهم.
- فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستوجب معرفة المدعو.
- خفض الجناح، وحسن الأدب مع من كان أكبر منك سنًّا في مقام الدعوة وإن كان كافرًا.
- تحمل الأذى في طريق الدعوة والجهاد واجبٌ على من سلك هذا الطريق.
- لا تجعل الغلظة أساس دعوتك إلى الله أيها المجاهد.
- دينك دينك، لحمك دمك، لا تكن التنازلات في الدعوة إلى الله على حساب الدين والعقيدة، فهذه الدعوة ليست ملكًا شخصيًّا لأحد فاتق الله فيما تنقل عن الله - عز وجل – ورسوله، واتق الله كيف تفسر ذلك.

وفي الحلقة القادمة - بإذن الله عز وجل - نتناول كيف صبر سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - على الأذى في هذا الطريق وواجه قومه وانتقل إلى أساليب أخرى مع قومه في الدعوة إلى الله حتى يحقق مراد الله تبارك وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمد أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.